وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجيلالي بونعامة –خميس مليانة–

كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية

قسم العلوم الإجتماعية

المقياس :مدخل إلى الأنثربولوجيا.

طلبة السنة الأولى تكوين أساسي علوم إجتماعية.

المجموعة الثانية.

أستاذة المقياس: الدكتورة بن زعزع لمياء.

المحاضرة الخامسة:

نشأة الانثربولوجيا في العصور الوسطى، أوربا وعصر الأنوار.

1- في العصور الوسطى:

لم تعرف القرون الوسطى الأوروبية نزعات أساسية حادة، تحاول دراسة الذات والآخر بشكل موضوعي، فهي مالت إلى المتخيل مثال ذلك، ما قام به الأسقف أسيدور (Isidore) (560-636)، حيث أعد في القرن السابع الميلادي موسوعة عن المعرفة، وأشار فيها إلى بعض تقاليد الشعوب المجاورة وعاداتهم، ولكن بطريقة وصفية عفوية، تتسم بالسطحية والتحيز ومما ذكره، أن قرب الشعوب من أوربا أو بعدها عنها، يحدد درجة تقدمها فكلما كانت المسافة بعيدة، كان الانحطاط والتهور الحضاري مؤكداً لتلك الشعوب، ووصف الناس الذين يعيشون في أماكن نائية، بأنهم من سلالات غريبة الخلق، حيث تبدو وجوههم بلا أنوف، وقد ظلت تلك المعلومات سائدة وشائعة حتى القرن الثالث عشر، حيث ظهرت موسوعة أخرى أعدّها الفرنسي "باقولو ماكوس"، والتي حظيت بشعبية كبيرة، على الرغم من أنها لم تختلف كثيراً عن سابقتها في الاعتماد على الخيال.

2- الانثربولوجيا في عصر النهضة الأوروبية:

مع تكون أوربا الاستعمارية، وخروجها من عزلتها، وانفتاحها على العوالم القديمة والجديدة، وظهر نزعات فلسفية متعددة معادية لفلسفة القرون الوسطى، لاسيما ذلك البعد الإنساني، بدأت تظهر بوادير الدراسات التي تتعلق بالشعوب الأخرى، وكلما كانت تتوسع أعمال الاستكشاف للأسباب التجارية والاستعماري، كانت هذه الدراسات تتعمق لعل أهم رحلة استكشافية أثرت في علم الانثربولوجيا، هي تلك التي قام بها "كريستوف كولومبس" (1492-1502)، حيث زخرت مذكراته على مشاهداته واحتكاكاته بسكان العالم الجديد، وبالكثير من المعلومات والمعارف على أساليب حياة تلك الشعوب وعاداتها وتقاليدها، اتسمت بالموضوعية نتيجة للمشاهدة المباشرة.

وأخذت تتبلور النظرة الانثربولوجية بشكل تدريجي، ففي إيطاليا قدم جيامباتستا فيكو (1668-1744) نظريته حول الدورة التاريخية قام بتقسيمها على الشكل التالي: المرحلة الإلهية والمرحلة البطولية والمرحلة الإنسانية، وهذه المراحل تتطابق مع مراحل نمو الإنسان، فالأولى توازي الطفولة والثانية الشباب، والثالثة النضج، والدولة بمكوناتها الحديثة لا تنشأ إلا في المرحلة الثانية عندما تسيطر الأرسقراطية، ويعبر فيكو أن المرحلة الإنسانية سرعان ما تنتهي لتعود الحياة إلى مرحلتها الطفولية.

الوسطى اللاهوتية (الإلهية) التي أعاقت فضول العقل الإنساني إلى معرفة أصول الأشياء ومصادرها، وتكوين الطبيعة وقوانينها، وصفات الإنسان الجسدية والعقلية والأخلاقية، وقد ظهر في القرن السابع عشر نتيجة لهذا الموقف الجديد اتجاه لدراسة الإنسان عرف بالمذهب الإنساني (العلمي) يقتضي دراسة الماضي من أجل فهم الحاضر، حيث اتجهت دراسة الطبيعة الإنسانية وفهم ماهيتها وأبعادها وفق المراحل التاريخية التطورية للإنسان، وقد تبلور هذا الاتجاه العلمي في الدراسات التجريبية والرياضية، التي ظهرت في أعمال بعض علماء القرن السابع عشر أمثال: فرانسيس بيكون (1561-1626) ورينيه ديكارت (1596-1650) وإسحاق نيوتن (1642-1727) وغيرهم.

3- الانثربولوجيا في عصر التنوير:

ويأتي القرن الثامن عشر، ليحمل معه إسهامات جان جاك روسو (1712-1778) التي كانت لها أهمية كبيرة لدى مؤرخي علم الانثربولوجيا وذلك بالنظر لما تضمنته في دراستها الاثنوجرافية للشعوب المكتشفة (المجتمعات البدائية) مقارنة مع المجتمعات الغربية الأوروبية، فقد تميزت وجهة النظر الانثربولوجية عند روسو بالتجرد والموضوعية، وتجلى ذلك في نقد بعض القيم والجوانب الثقافية في مجتمعه الفرنسي، مقابل استحسان بعض الطرائق الحياتية في المجتمعات الأخرى، وفي هذا يعد كتابة العقد الاجتماعي من الإسهامات الأولى للفكر الانثربولوجي وإلى جانب روسو شكلت إسهامات البارون ميشار دي مونسكيو (1689-1755) التي تضمنها كتابة روح القوانين، والتي أوضح من خلالها فكرة الترابط الوظيفي بين القوانين والعادات والتقاليد والبيئة قاعدة لسيادة هذه الفكرة الترابطية في أعمال

الانثربولوجيين في أوائل القرن العشرين سيما الانثربولوجيين الانجليز، حيث انتقل مونتيسكيو لدراسته النظم السياسية وتأثير المناخ على الحضارة أو الثقافة فيما بعد الكتابات الانثربولوجية وشكل مجالاً واسعاً للدراسات الانثربولوجية.

أما في ألمانيا فقد تبلور الفكر في عصر التنوير عن التفوق العنصري والنزعة القومية الشو فنية (البعضية) وظهر ذلك واضحاً في كتابات كل من (فلاديمير ويليم هيجل) (1770-1831) وجوها نفحته (1762-1814) حيث جعلا الشعب الألماني، الشعب الأمثل والأنقى بين شعوب العالم.

حيث أصبحت النظرة الجديدة للإنسان على أنه ظاهرة طبيعية، ويمكن دراسته من خلال البحث العلمي والمنهج التجريبي، ومعرفة القوانين التي تحكم مسيرة التطور الإنساني والتقدم الاجتماعي، وهذا ما أسهم في تشكيل المنطلقات النظرية للفكر الاجتماعي، وأدى بصورة تدريجية إلى بلورة البدايات النظرية للانثربولوجيا خلال عصر التنوير.

المحاضرة السادسة:

التوسع الاستعماري خلال القرن التاسع عشر ووضعية علم الانثربولوجيا.

تمهيد:

لقد كان للغزو الاستعماري في القرن التاسع عشر دور في التطور التدريجي والنسقي لملاحظة الأجناس البشرية والطوائف، ووصف عادات وتقاليد الشعوب من طرق الإداريين والعسكريين وبعض الأكاديميين على اعتبار أنهم اصطدموا بهذه الشعوب التي لا يعرفون عنها شيئاً، فكان لزاماً عليهم دراستها في أدق تفاصيل حياتها، وهذا قصد السيطرة عليها، كما لا يخف الدور الذي لعبته الدراسات الانثربولوجية والانثولوجية كمثال حي، وكذا أهميه هذا العلم فيما بعد بالنسبة للجزائر المستقلة.

1- الاستعمار بين تبرير الغزو وإذلال العلم:

إن سعي الاستعمار الحديث للسيطرة على الشعوب لم يكن بالقوة العسكرية والسلاح المدمر، بل كان أيضا بالهيمنة الثقافية والعمل على إعطاء التبريرات الوافية حول إبادة هذه الشعوب واستغلال خيراتها الطبيعية والبشرية، ولقد كرست الجهود التي توغلت إلى الخصوصيات الثقافية للوقوف على مكامن القوة والضعف عن طريق الملاحظة الدقيقة والمتأنية للوصول إلى نتائج جد مهمة، يقول أحد الباحثين (ريفي) (Revet) في ذلك "الاستعمار جيد بدون انثولوجيا محكمة، ولا يمكن أن يتم الاستعمار بالتجريب حين تساعد أضواء الملاحظة العلمية على إتمامه وبمعدل نجاح كبير، إن وصف الشعوب بالتخلف والانحطاط، وتكريس النظرة المتعالية، وتمجيد المركزية العرقية والتفوق الحضاري المزعوم، صاحبه في ذات الوقت تبرير التواجد الميداني والسيطرة العسكرية التي كانت زعما بأنها ستقود الشعوب إلى التقدم والتحضر والمدنية من جهة، وجهة أخرى صاحبته أيضا إذلال واهنات لعلم الإنسان الذي كان من المفترض أن يكون جسراً لتواصل الشعوب والتبادل الثقافي بينها.

2- الانثربولوجيا والاستعمار تحليل لطبيعة العلاقة الارتباطية القائمة بينهما:

لقد نشأت الانثربولوجيا كأداة فكرية لتعزيز سلطة الاستعمار فكانت مرتبطة بشدة كبيرة بالإدارة الاستعمارية، والدليل على ذلك أنه إذا كان الاستعمار موجوداً في كل زمن، فإن دراسة الشعوب الخاضعة للاستعمار لم تجرى إلا في الاستعمار الأوروبي وهي تجري بشكل علمي، حيث استطاع المستعمر أن يجد ضرورات لتوظيف علماء الانثربولوجيا لدراسة المستعمرات التي تمثلت في غياب الدراسات التاريخية حول هذه الشعوب، مما جعل الانثربولوجيا حليفا حقيقيا للاستعمار الباحث عن أراضي جديدة وثروات إضافية لتلبية الحاجات الصناعية في أوربا فقد كان الاعتماد على تقنيات ووسائل الانثربولوجيا واضحاً لدى الإدارة الاستعمارية من خلال الاعتماد على وصف تركيبة الشعوب المستعمرة ونظمها الاجتماعية وثقافاتها، كما كانت هذه العمليات تتم من قبل ضباط الجيوش الاستعمارية الذين كانوا في الواجهة مما مكنهم من إعداد التقارير حول الخصائص التي يميز الشعوب وحول طبيعة البيئات التي تسكنها، وكل هذا من أجل التمهيد الثقافي والفكري للغزو العسكري أو للمحافظة على بقاء واستمرار النظام الاستعماري.

3- بيان حول الانثربولوجيا والاستعمار والعنصرية:

إن أحد ارتأت علم الانثربولوجيا المؤلمة شكل خاص هو ارتباطه وتواطؤه مع ما يسمى "العنصرية العلمية" والتي لعبت جامعة بسلفانيا دوراً رئيسياً فيها استخدم علماء الانثربولوجيا وغيرهم من العلماء إجراءات موضوعية ظاهريا لتعزيز أشكال مختلفة من العنصرية، من خلال وضع البشر على مقياس، مندرج للحضارة، وتعزيز نظريات "التطور الثقافي" المشحونة، ثم تقديم هذه البرامج على أنها نتائج علمية واستخدامها لدعم الأجندات العنصرية، كان الضرر الناجم عن هذا النوع من العمل واسع النطاق وكبيراً.

المحاضرة السابعة:

الانثربولوجيا الحديثة.

تمهيد:

تعددت الاتجاهات النظرية التي أثرت في الانثربولوجيا الحديثة، والتي كان الهدف منها دراسة وفهم الإنسان من منظور كلي، فكان لها دور كبير في تفسير الظواهر ومختلف الأنماط الثقافية السائدة في المجتمعات البشرية.

1- موضوعها وهدفها:

ظهرت الانثربولوجية الحديثة في النصف الثاني من القرن العشرين، واهتمت بدراسة المجتمعات الإنسانية بالاعتماد على الدراسات الميدانية-التحليلية والثقافية، مما ساعد في ظهور التخصص في هذا العلم، وساهم في إرساء الدعامات الأساسية في علم الانثربولوجيا.

حيث اتجهت الدراسات الانثربولوجية الحديثة نحو دراسة النظم الاجتماعية كما هي في الوقت الراهن دون ضرورة البحث في أصولها التطورية أو انتشارها الحضاري ، إذ تتناول الأنساق المترابطة والمتغيرة باستخدام نماذج ومقاييس ومناهج متطورة مع وصف وتحليل النظم الاجتماعية للإنسان المعاصر وذلك من باب كونها امتداد للانثربولوجيا التقليدية، إلا أنها وفي نفس الوقت أصبحت تعنى بالقضايا الحديثة والمعاصرة كعالم التفردات الكونية، الوحدة والتعدد، الأمكنة واللاأمكنة، الحداثة وما فوق الحداثة، الهوية والاختلاف وغيرها.

2- أهمية الانثربولوجيا في العصر الحالي:

إن نوع المعرفة التي تعلمها الانثربولوجيا لا تقدر بثمن، فهي معرفة فريدة للقرن الواحد والعشرين ومن فوائدها:

- يمكن أن تعلم دروسا مهمة حول العالم والدوامة العالمية للاختلاط الثقافي والاتصال.

- تعد ضرورية لبناء التفاهم والاحترام عبر الانقسامات الثقافية الحقيقية أو المتخيلة.
- يمكن أن تساعد على تخيل وتصميم المستقبل الذي يهتم بالتعقيد البشري والسيء.
- تساعد المنهجيات المميزة للانثربولوجيا على فهم الخبرات والممارسات البشرية وتوضيح ترابطها.
- لا تدعي الانثربولوجيا في حد ذاتها حل المشاكل التي تواجه البشرية ولكنها تمنح ممارسيها المهارات والمعرفة التي تمكنهم من معالجة الأسئلة المعقدة بطرق مختصة وذات صلة.

3- النظريات الأساسية في علم الانثربولوجيا:

1-1- **النظرية التطورية الحديثة:** ظهرت في نهاية وبداية النصف الثاني من القرن العشرين عدد من الانثربولوجيين الذين بدأوا يضعون نظرية خاصة لدراسة المجتمعات الإنسانية ومراحل تطورها وموقع التغيير الثقافي في ذلك، وكان من أبرزهم عالم الآثار الانكليزي جوردن نشايلد والأمريكي (ليزلي هوايت)، وقد حظيت إسهاماتهم بأهمية كبيرة على مستوى الدراسات الانثربولوجية المعاصرة، حيث حاول هؤلاء من خلال النظرية التطورية المحدثة تدارك إخفاق النظرية التطورية الكلاسيكية حول التطور الاجتماعي للمجتمعات عبر التاريخ والذي جعلها تتعرض لانتقادات كبيرة قللت إلى حد ما من أهميتها.

وبالرغم من أفكار التطوريون المحدثون جاءت مماثلة إلى حد كبير لأفكار التطوريين في القرن إلا أنهم أضافوا إليها بعض التعديلات ذات الصلة بميكانيزمات التغير الثقافي، ففي الوقت الذي لم تربط فيه التطورية الكلاسيكية عملية تطور المجتمعات بعوامل وتركته تلقائيا، اتجهت التطورية المحدثة إلى ربطه على مستوى الثقافة بعوامل متعددة .

المادية الثقافية (التيار الثقافي): نشأت المادية الثقافية على يد العالم مارفن هاريس عام 1968 إلا أن جذور النظرية تعود للأفكار المادية الماركسية، وتؤكد هذه النظرية على أن العالم المادي يؤثر على سلوك البشر في مجتمعهم، وبما أن السلوك البشري هنا يصبح جزء من الطبيعة فيمكن فهمه وتفسيره بنفس منهجية فهم الظواهر الطبيعية، أي باستخدام مناهج العلوم الطبيعية.

المحاضرة الثامنة:

التيارات والنظريات الأساسية في الانثربولوجيا (التيار التطوري، التيار التاريخي، التيار الانتشاري).

هناك نظريات كثيرة في الانثربولوجيا نظرت إلى مختلف جوانب حياة الإنسان، سواء أكانت ثقافية، سياسية، اقتصادية، اجتماعية، فنية، ولكن من رؤيتها وموقفها ومنهجها وتفسيرها لهذه الجوانب والمجالات هذا من جهة، أما من جهة أخرى فإن هذه النظريات تدل على حيوية وفاعلية البحث الانثربولوجي، وعلى أنه بحث متواصل ومستمر يتكيف مع التغيرات ويبدع حولها تنظيرات ومفاهيم ومناهج، ومن بين هذه النظريات:

1- النظرية التطورية:

- **تعريفها:**

يؤمن علماء هذا الاتجاه أن الكائنات الحية تطورت من البسيط إلى المعقد وحاول تفسير المراحل التي مر بها الإنسان أثناء تطوره واعتبروا أن الإنسان نتاج لمرحلة تطور طويلة الأمد، يؤيد علماء الاتجاه التطوري فكرة التقدم والارتقاء وأن المجتمعات مثل الكائنات الحية تسير من البسيط إلى المعقد ومن المتجانس إلى اللامتجانس ومرت بثلاث مراحل: متوحشة- البربرية- المتحضرة.

- **عناصر النظرية التطورية:**

يؤمن علماء التطورية بأن التطور طبيعي وحتمي ولا يمكن أن تظل المجتمعات على ما هي عليه بالثبات معناه الموت والفناء، ومن أبرز آراء (أوجست كونت) الذي يرى أن الفكر الإنساني يمر بثلاث مراحل:

- **المرحلة الإلهية:** وفيها ترد جميع الأشياء إلى الآلهة كغضب الله أو إرضاء الآلهة.
- **المرحلة الميتافيزيقية:** وفيها يُرد الأفراد الظواهر لقوى ما وراء الطبيعة.
- **المرحلة الوضعية:** وفيها يحاول الفرد تفسير الظواهر بشكل علمي موضوعي.

- **التقدم التصاعدي إلى الأمام:**

يرى علماء النظرية التطورية أن التغير يسير دائما إلى الأمام فهو يتطور من البسيط إلى المعقد. يؤكد أن التغير يسير بخطوات ثابتة ومراحل متتابعة.

- **رواد النظرية التطورية:**

1- لامارك:

ظهرت نظرية العالم لامارك في أواخر القرن (18 وأوائل القرن 19) من أهم البدايات التي حاولت تفسير تطور الحياة فقد درس لامارك الكائنات الحية دراسة تشريحية منتظمة ووجد أن جميع الكائنات الحية تتطور بشكل تدريجي من أبسط الكائنات الحية وهي (الكائنات اللافقارية والتي تقع في أسفل سلم التطور إلى أرقاها وهي الثديات وهي أذكى الحيوانات) أطلق لامارك على نظريته هذه اسم السلم التقسيمي.

يرى لامارك أن منبع الحياة في البحر وليس في السياسة، لذلك يرى أن أولى الكائنات الحية ظهرت بالماء أو الأماكن الرطبة ومن هنا صور – لامارك تطور الكائنات الحية سلسلة مراحل حياتية.

2- مورغان هنري لويس (1818-1881):

انثربولوجي أمريكي معاصر قام بالعمل الميداني وزيارات للشعوب التي تكلم عنها كثيراً وأشهر هذه الشعوب هنود (الأروكوا) وقد توصل إلى نتائج علمية:

- عن تأملاته لا تزال محل نقاش إلى يومنا هذا.
- توصل إلى مجموعة من الحقائق لا تزال معتمدة كمرجع أساسي لدى المختصين في الانثربولوجيا.

3- تشارلس داروين:

كان داروين يرى أنه لما كانت جميع الكائنات الحية تتزايد بشكل يفوق زيادة الغذاء فإن فئة قليلة هي التي سيكتب لها البقاء فهو يؤيد نظرية (مالتس) في أسباب الفقر وأن الناس يتزايدون لمتوالية هندسية والغذاء يتزايد لمتوالية حسية والفرق بينهما يؤدي إلى زيادة الفقر.

2- النظرية الانتشارية:

تعريف النظرية الانتشارية: يعبر الانتشار في الانثربولوجيا على انتشار الثقافات المختلفة بخصائصها بين مختلف الدول والأمم، حيث أنها تتكون من عناصر يطلق عليها السمات الثقافية ولها القدرة على الانتشار الجغرافي وللشعوب القدرة على التكيف معها.

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الاتصال بين الجماعات والشعوب أدى إلى انتشار بعض السمات، فعملية الانتشار الثقافي من مركز ثقافي إلى باقي المناطق، كما أن الانتشار يتم أيضا من خلال انتقال السمات الثقافية من جماعة سابقة إلى جماعة لاحقة.

وتعتبر فكرة (المنطقة الثقافية) التي طورها "وسلو" (تلميذ بواز) أداة هامة في دراسة الثقافة وجوهرها تقسيم وتصنيف الثقافات العالم إلى مجموعات ثقافية بناء على تشابه العناصر الثقافية التي تكونها، والمنطقة الثقافية إقليم يضم مجتمعات إنسانية متشابهة الثقافة ومن أجل تحديد وتمييز منطقة عن أخرى يتم تتبع مدى انتشار العناصر الثقافية المميزة لتلك الثقافة (طرق وأدوات الصيد، طهي الطعام، العناصر المشكلة لمختلف النظم...).

3- التيار التاريخي:

ويتزعمه العالم الألماني فرانز لواز (1858-1942) والذي كان رائدا لهذا الاتجاه في أمريكا وبفضله تم الانتقال من النظرة الخطية التطورية للتاريخ كما كانت عليه نظريات التطورية إلى دراسة ثقافات محددة كعشائر والقنابل، مع التأكيد على ضرورة دراسة هذه الثقافات في إطار منطقتها الإقليمية الثقافية، والهدف من ذلك هو معرفة أصول وتواريخ الثقافات وتحديد خصائصها ولكن الهدف الأسمى يتجلى أخيراً في المقارنة بين هذه التواريخ والتي تميز هذه الثقافات من أجل الوصول إلى القوانين العامة التي تحكم نموها وتطورها.

4- الاتجاه (الوظيفي البنائي):

ترافق نشوء هذا الاتجاه مع ظهور اتجاه الانتشار الثقافي، كرد فعل عنيف عن النظرية التطورية، وقد تميز الاتجاه البنائي بأنه ليس تطوريا وليس تاريخيا حيث ركز على دراسة الثقافات الإنسانية كل على حدة في واقعها الحالي (المكاني والزماني).

يعود الفضل في تبلور الاتجاه البنائي الوظيفي في الدراسات الانثربولوجية إلى أفكار العالمين البريطانيين (بروسلو مالينوفسكي) و(راد كليف براون) اللذان عاشا في أواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين ويدينان باتجاهاتهما النظرية، إلى أفكار عالم الاجتماع (أميل دوركايهم) الذي ركز اهتمامه على الطريقة التي تعمل بها المجتمعات الإنسانية ووظائف نظمها الاجتماعية، وليس على تاريخ تطور هذه المجتمعات والسمات العامة لثقافاتها.

يرى براون أن المجتمعات هي كائنات بيولوجية بمعنى أن هناك تشابها حقيقياً بين البناء العضوي والبناء الاجتماعي، وما على الباحث إلا أن يدرس عناصر البناء الاجتماعي بغرض الكشف عن تفاعلات هذه العناصر التي تشكل من خلال تفاعلها نسقا قائما بذاته، ثم يقوم بعد ذلك باستنتاج القوانين الوظيفية لمجتمع ما أو مجتمعات معينة والانتقال بعدها إلى تعميمات عن طبيعة المجتمعات الإنسانية.